

سورة الانفطار

سورة الانفطار تشابه سورتي التكوير قبلها، و الانشقاق بعدها، وقد ورد فيها حديث: (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأَى عَيْنٍ فَلْيَقْرَأْ: **[إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ]**، و**[إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ]**، و**[إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ]**) رواه الترمذي^(١).

ومن مقاصد هذه السورة:

المقصد الأول: الإيهان باليوم الآخر، وبيان أهوال القيامة.

المقصد الثاني: بيان ربوبية الله، وعظيم منته على الإنسان .

المقصد الثالث: الرد على منكري البعث .

المقصد الرابع: إثبات الحساب والجزاء .

المقصد الخامس: الإيهان بالملائكة .

المقصد السادس: الإيهان بالجنة والنار .

[إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ ١] وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انثَرَتْ ٢] وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِرَتْ ٣] وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ٤] عَلِمْتَ
نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ٥] يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا عَرَكَ رِبِّكَ أَلْكَرِيمِ ٦] الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوِّكَ فَعَدَلَكَ ٧]
فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ٨] كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ ٩] وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ١٠] كِرَامًا كَنِينِينَ ١١]
يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ١٢] إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ١٣] وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ١٤] يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الذِّكْرِ ١٥] وَمَا هُمْ عَنْهَا
بِعَايِينَ ١٦] وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الذِّكْرِ ١٧] ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الذِّكْرِ ١٨] يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا
وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ١٩]

[إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ ١]: (إذا) شرطية، ومعنى **[انفطرت]** أي انشقت، وتصدعت، كما قال

الله ﷻ: **[وَأَنشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ١٦]** [الحاقة: ١٦]، **[إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ١]** {الانشقاق: ١} .

[وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انثَرَتْ ٢]: **[الكوكب]** هي النجوم، ومعنى **[انثرت]** : أي تساقطت، وتفرقت،

يعني كأنها تساقطت متفرقة .

(١) سنن الترمذي (٣٣٣٣)، مسند أحمد (٤٨٠٦) وصححه الألباني.

[وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِرَتْ ٣]: أي امتلأت، وفاضت، وانفتح بعضها على بعض، بأن يطغى الماء، فيدخل ماء البحر على ماء النهر. وقيل في معنى **[فُجِرَتْ]** ما تقدم من المعاني في سورة التكويد؛ أنها بمعنى (سجرت) أي تسجر، وتشتعل، فيكون هذا بمنزلة التفجير. ويقول بعض المعاصرين، إنه يمكن أن يكون هذا التفجير يرجع إلى الطبيعة الذرية لمكونات الماء، فالماء عند أهل الفيزياء مكون من ذرتي هيدروجين، وذرة أكسجين، وأنه يقع اختلال في النظام النووي لهذا التكوين، فيقع انفجارات هائلة بسبب ذلك، كأنفجار القنابل الذرية، والله أعلم.

[وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ ٤]: **[الْقُبُورُ]** هي مدافن الموتى، ومعنى **[بُعِثَتْ]** أي نبشت، وقلبت، وأثيرت، وبعث من فيها .

[عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ٥]: **[نَفْسٌ]** يعني كل نفس، **[مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ]** اختلف المفسرون في التقديم والتأخير، مع اتفاقهم على أن ذلك متعلق بالعمل. فذهب بعضهم إلى أن المقصود بقوله **[مَّا قَدَّمَتْ]** أي من عمل صالح، وبقوله **[وَأَخَّرَتْ]** أي من عمل صالح بعد موتها، كقول النبي ﷺ: "إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ" رواه مسلم^(٢). يعني ما قدمت من عمل صالح، أو أخرته، وأجرته بعد موتها، كالأوقاف، والوصايا، وما أشبه. وقال بعضهم: **[مَّا قَدَّمَتْ]** يعني ما أدت من الواجبات، والفرائض، **[وَأَخَّرَتْ]** ما تركت، وأهملت من الواجبات، والفرائض، وذهب فريق ثالث إلى العموم، وأن المراد ما قدمت من خير أو شر، وأخرت من خير أو شر، وعلى كل حال، فالآية تدل على علم الإنسان يقيناً يوم القيامة بحصيلة عمله من خير أو شر. والعموم أولى بالأخذ، لقول الله تعالى: **[يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا]** {ال عمران: ٣٠}، وقوله: **[فَمَنْ**

(٢) صحيح مسلم (١٦٣١).

يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ. ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ. ﴿٨﴾ {الزلزلة: ٧-٨} . وجواب الشرط: قوله [عَلِمَتْ نَفْسٌ] .

[يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾]: هذا الأسلوب فيه عتاب مؤثر للغاية. [الْإِنْسَانُ] ذكر بعض المفسرين أن لمراد بالإنسان، في القرآن المكي، الإنسان الكافر، لا جنس الإنسان. [مَا غَرَّكَ] "ما" استفهامية، والمعنى: ما الذي زين لك، وسول لك، فهذا استفهام إنكاري، ينكر على هذا الإنسان المنفلت، تركه لعبادة الله ﷻ [بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ] هو رب بمعنى خالق، ورازق، ومدبر، وفوق ذلك هو كريم عليه، ولطيف به، فأى شيء غرك به، وسول لك ترك عبادته، وزين لك معصيته؟!!

[الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَّلَكَ ﴿٧﴾]: معنى [خَلَقَكَ] أي أنشأك، وأوجدك من العدم، فقد أوجد أبانا آدم، ﷺ، من العدم. ومعنى [فَسَوَّنَكَ] أي عدّل خلقك، وكملك، فصرت مستقيم القامة ، لست كهيئة الحيوانات التي تمشي على أربع، بل أنت معتدل مستقيم. ومعنى [فَعَدَّلَكَ]: أي جعلك على هيئة حسنه معتدلة .

[فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾] أي أنه لو شاء ركبك في أي صورة، فلو شاء لجعلك مسخاً، لكنه جعلك في صورة كريمة، وهي هذه الصورة التي خلقك عليها، إما أن تنزع بشبهك إلى أمك، أو إلى أبيك، أو إلى عمك، أو إلى خالك، وهذا من بديع خلق الله، فلا تجد بشرين متطابقين تمام المطابقة، وهذه سعة لا يملكها أحد إلا الله، لكل إنسان صورة مستقلة، متفردة، حتى التوائم المتشابهة، التي تخرج من انفلاق بويضة مخصبة واحدة، لا يمكن أن تتطابق، بل تجد بينهما فروقاً. لكن هذه الصور، منها صور متباينة، ومنها صور متقاربة في الأطوال، والألوان، والسمات، حتى إن بصمة الإنسان لا يباثلها بصمة! وهذا الخلق الذي أجمل الله ذكره، يستطيع أن يتأمله كل مخاطب؛ فالأعرابي في باديته، والأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب، حينما يُسَرِّح طرفه، ويُعمل عقله، يجد عجباً، وينبهر، ويندهش من سعة خلق الله،

وبديع صنعه، وتدبيره، حتى أنك تسمع من بعض العوام الذين لا يقرؤون، ولا يكتبون، استنباطات، ومعاني ما تسمعها من بعض العلماء. ثم إن العلم الحديث أتى بالعجائب، فيما يسمى بعلم وظائف الأعضاء، مما يزيد هذه المعاني وضوحاً، ويزيد الإيحاء قوة ففي بدنك جهاز هضمي، وجهاز دموي، وجهاز عصبي، وجهاز عضلي، وجهاز عظمي، وجهاز تناسلي، وتركيبه نفسية معقدة! فهذا الخليط، والمزيج، في بنية واحدة، من ركبته؟ من سواه؟ من عدله؟ الله ﷻ. وتبدو محاولات البشر فيما يسمى بالإنسان الآلي، الذي يحاولون أن يدخلوا فيه بعض حركات الإنسان وتصرفاته، ومحاولات عبثية، يضاهئون خلق الله وأنى لهم. فهذه آية تطأطئ لها الرقاب، وتخضع لها الأعناق. ووقع هذه الآيات على النفس وقع قوي، فمن كان به خير، وأراد الله به خيراً، فإنها تهزه من الأعماق؛ لأنها تذكره بأصل نشأته، وتمرحله، وتطوره منذ أن كان جنيناً، إلى أن خرج طفلاً رضيعاً، إلى أن شب، واستوى، واستقام. هذه المؤثرات هي التي تنصع الإيمان في القلب. ولهذا ينبغي للدعاة إلى الله ﷻ، أن يتذرعوا بها، وأن يحركوا بها كوامن الفطر، وأوتار القلوب .

[كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ ﴿٩﴾]: [كَلَّا] كلمة ردع، وزجر. ومعناها: ليس الأمر كما تظنون، ومعنى [بَلْ]: أي لكن، [تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ] يعني: ألا يعظكم، ألا يزرركم إقراركم بربوبية الله، فيحملكم على عبادته؟ فالله تعالى يسوق آيات الربوبية، ليبين استحقاقه للعبادة سبحانه وبحمده. ومعنى [بِالَّذِينَ]: أي الجزاء، من دنته فدان، أي: ذل، وخضع، فالله تعالى هو الذي يدين العباد، والله تعالى قد خلق السموات والأرض بالحق، فليس من الحق أن يموت الظالم على ظلمه، والمظلوم على مظلمته، والمحسن على إحسانه دون ثواب، والمسيء على إساءته دون عقاب، فلهذا كان الجزاء من دلائل البعث.

[وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾]: هذه الجملة مؤكدة بأنواع المؤكدات [وَإِنَّ]، [عَلَيْكُمْ]، [لِحَافِظِينَ] هم الملائكة. وتأمل في لفظ [عَلَيْكُمْ]، لم يقل "عندكم" أو "معكم" بل قال [عَلَيْكُمْ] ليفيد التسلط والرقابة، وهو يشعر بالخشية، والرهبة، [لِحَافِظِينَ] فهم حفظة، ومؤتمنون،

وضابطون لعملهم، لا يفرض منهم شيء، كما قال في آية أخرى: **[مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ**

عَتِيدٌ ١٨] {ق: ١٨}، وقال: **[بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ٨٠]** {الزخرف: ٨٠}.

[كِرَامًا كَنِينٍ ١١] : أي شرفاء، أمناء، حفظة، ضابطين، كاتبين؛ لأن الكتابة توثيق. ولهذا أمر

الله تعالى بها فقال: **[بِتَأْيِهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنُكُمْ بِيَدَيْنِ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَآكْتُبُوهُ]**

{البقرة: ٢٨٢}.

[يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ١٢] : جعل الله ملائكته يحصون على العباد، ويسجلون ما يبدر منهم، من

خير أو شر، لأنهم يباشرون ذلك، فإذا أوصد الإنسان الأبواب، وأرخصى الستور، وظن أنه

قد غاب عن الأعين، فليذكر أن معه كراماً كاتبين. فلو شعرت أنه يطلع عليك فلان، الذي

كُتِبَ، وتقدره، ستخجل، وترعوي، وتستحي من مقارفة هذا الفعل المشين أمامه، فكيف إذا

ذكرت أن معك كراماً كاتبين؟ وكيف إذا ذكرت أن الذي يراك رب العالمين؟

[إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ١٣] : **[الْأَبْرَارَ]** جمع بر، والبر هو كثير الخير؛ ولذلك سمي البر براً،

لسعته. ومعنى **[نَعِيمٍ]** النعيم: هو الجنة، وما فيها من أنواع المتع. وأتى بحرف "في" **[لَفِي نَعِيمٍ]**

، ولم يقل "إن الأبرار لهم نعيم" ليعطي معنى الانغماس والانغمار، كأنهم غمسوا في النعيم

غمساً، واصطبغوا به، وغمرهم من كل جانب .

[وَأَنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ١٤] : **[الْفُجَّارَ]** جمع فاجر، من الفجر، وهو هتك ستر الدين، فكأنه لما

هتك ستر الدين، وتقحم الحرمات، سمي فاجراً. **[بَجِيمٍ]** : اسم من أسماء النار، والعياذ

بالله، ونقول في (في) ما قلنا في قوله **[لَفِي نَعِيمٍ]** أنهم منغمسون فيها .

[يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الَّذِينَ ١٥] : **[يَصَلُّونَهَا]** أي يصطلون بنارها، ووهجها، وحرها، فتحرقهم،

وتشويهم، والعياذ بالله، حتى إن النبي ﷺ، أخبر عن قوم من عصاة الموحدين، يدخلون

النار (حتى إذا كانوا فحماً، أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ، فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ، ضَبَائِرَ، فَبُثُوا عَلَىٰ أَنهَارِ الْجَنَّةِ،

ثُمَّ قِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ! أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ، فَيَبْتُونَ نَبَاتَ الْحَبَّةِ تَكُونُ فِي حِمِيلِ السَّيْلِ) رواه مسلم^(٣)
، فكيف بأهل النار الذين هم أهلها؟

[**يَوْمَ الدِّينِ**] هو أحد أسماء القيامة، لأنه يوم الجزاء والحساب ، وتقدم أن ليوم القيامة أسماء عدة، بلغ بها بعض العلماء ثمانين اسماً، وأن أسماء القيامة أعلام، وأوصاف، كما أسماء الله الحسنى، وكما أسماء نبيه ﷺ، وكما أسماء القرآن.

[**وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ**]^(١٦): يعني أنهم لا يغيبون عن العذاب طرفة عين، كلما فرغوا من عذاب انتقلوا إلى آخر، عياداً بالله، وكلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم، أعيدوا فيها، عياداً بالله. شيء تقشعر له الأبدان، لمجرد ذكره فكيف بمن اصطلى بناره؟ وفي هذه الآية ما يدل على بقاء النار، وأنها لا تفتنى، وأن أهلها لا يخرجون منها .

[**وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ**]^(١٧) ثُمَّ **مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ**]^(١٨): هذا الاستفهام، وهذا التكرار، يراد به التفخيم، والتعظيم، والتهويل. [**وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ**]: كأنها يقال: ذلك الإنسان لم يقدر الأمر حق قدره، "أتدري ما يوم الدين؟ أتعرف ما يوم الدين؟" كما قال: [**الْحَاقَّةُ**]^(١) **مَا**
[**الْحَاقَّةُ**]^(٢) **وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ**]^(٣)؛ و [**الْفَارِعَةُ**]^(١) **مَا الْفَارِعَةُ**]^(٢) **وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْفَارِعَةُ**
[**٣**]

ثم أجاب الله تعالى على هذا السؤال ، وهذا من تفسير القرآن بالقرآن، فقال: [**يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ**]^(١٩) ولهذا نظير، كقوله: [**لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ**] {غافر: ١٦}. أي لا تملك أي نفس، لأي نفس أخرى نفعاً، ولا ضراً، (شيئاً) نكرة في سياق النفي، فتدل على العموم. [**وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ**] كقوله: [**اللَّهُ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ**] {الروم: ٤} .

الفوائد المستنبطة

الفائدة الأولى: بيان أهوال يوم القيامة.

^(٣) صحيح مسلم (١٨٥).

الفائدة الثانية: إثبات البعث من قوله [وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ ﴿٤﴾] .

الفائدة الثالثة: إقرار الإنسان بعمله يوم القيامة [عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ] .

الفائدة الرابعة: وقوع الكافر في الغرور (يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا عَرَفَ رَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾) .

الفائدة الخامسة: أن العبادة هي مقتضى الربوبية .

الفائدة السادسة: بديع صنع الله في الإنسان .

الفائدة السابعة: ذم منكري البعث لقوله: [كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ ﴿٩﴾] .

الفائدة الثامنة: الإشارة إلى أحد دلائل البعث، وهو الدينونة، لأنه يحصل بها إحقاق الحق، وإبطال الباطل .

الفائدة التاسعة: الإيمان بالملائكة الكرام ، وهو أصل من أصول الإيمان .

الفائدة العاشرة: خلود النار، ودوام العذاب على أهلها، من قوله [وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ] .

الفائدة الحادية عشر: بطلان الشرك، وكل تعلق بغير الله، وهذا يؤخذ من الجملة الأخيرة من

قول الله ﷻ: [يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿١٩﴾] ، ومن تعلق بغير الله وكل

إليه، فكل من تعلق بسبب فإنه ينقطع، إلا ما كان سبباً إلى الله ﷻ؛ من خوف ، أو رجاء ، أو

محبة ، أو توكل ، أو نحو ذلك .